كاظمة البحـــــور

تأليف: سلطان الدرويش/ نشر : إدارة البحوث والدراسات في المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت / ٢٠٠٥

عرض : م. محسن مشكل الحجاج
جامعة البصرة/مركز دراسات الخليج العربي
قسم الدراسات التاريخية

المقدمة:

تعد منطقة الخليج العربي من المناطق الهامة والحيوية منذ فجر التاريخ إذ كانت حلقة الوصل بين شرق آسيا وأوربا ، وبفضل هذا الموقع الهام امتهن أهلها حرفة التجارة ومارسوها في التاريخ القديم وحتى عصرنا الراهن ، وقد برزت أسماء عدة لمدن واقعة على ساحل الخليج البحرالعربي قبل الإسلام اشتهرت بالتجارة مثل ميسان وكاظمة وهجر وجرها وعمان واليمن .

ومما يؤسف له أن الدول المطلة على ساحل الخليج العربي لم تعتن بآثارها مما جعل منها فريسة لبعثات التنقيب الأجنبية مثل البعثة الإنكليزية والهولندية والألمانية والفرنسية . وبعد إن وجدت هذه البعثات بكثير من الآثار والنقوش حاولت دراستها آلا أنها وقعت بكثير من الأخطاء اللغوية في فك رموز النقوش القديمة أما جهلاً أو تحيزاً . وهذا جعلهم يديرون دفة تاريخنا القديم على وجهة نظرهم أو ما يسمى في الوقت الحاضر (الاستشراق) أي دراسة الشرق من وجهة نظر الغرب .

ولهذا ندعو المسؤولين والمعنيين بالبحث العلمي في دول الخليج العربي النظر بعناية قصوى لهذا الأمر لما له من خطورة على مستقبل أوطانهم وأجيالهم .

وقد حفزنا لهذا الأمر الكتاب الذي نحن بصدده وهو: (كاظمة البحور) . دراسة تاريخية وأثرية لموقع كاظمة في محافظة الجهراء الكويتية ، وهذا الكتاب من الكتب الحديثة التي وصلت إلى مكتبة المركز . لهذا ارتأينا عرضه لكونه إضافة نوعية للحلقة المفقودة في التاريخ .

يعد الكتاب بحثاً علمياً جيداً وأضافة للمكتبة العربية . ويتكون من (١٠٤) صفحة ، ويمكـن تقسيمة على قسمين رئيسن ، الأول : دراسة جغرافية وتاريخية لمدينة كاظمة ، والثاني: هو الملاحق المتكون من صور وخرائط ملونة غطت تقريباً جميع منطقة كاظمة – مما يلسط الضوء على الطبيعة الجغرافية لها .

احتوى القسم الأول من الكتاب المادة العلمية فيه والتي تفرعت إلى عنـاوين حسـبما ارتـأى الباحث وعلى حسب توفر المادة العلمية . إلا أن الأساس في العناوين هو موقـع كاظمـة وسـكانها واقتصادها في التاريخ ، ولكن حاول المؤلف أعطاء عناوين فرعية أخرى حسبما اقتضت الضرورة ، وفي نهاية هذا القسم ذكر الباحث آبار المدينة من خلال جدول يضم خمسة عشر اسماً لآبار كاظمـة . وهذا يدل على الأهمية والحاجة القصوى لها.

وبعد إن ذكر الباحث في هذا القسم موقع كاظمة والطرق المؤدية إليها تناول المدينة في العصور الإسلامية وفي الواقع انه اقتصر على ذكر إسلامها ولم يمتد به الحـديث إلـى العصـور الإسـلامية الأخرى . وحسنا فعل الباحث إذ سلط الضوء على معركة ذات السلاسل التي حدثت في منطقة كاظمة كجزء من تاريخ هذه المدينة علما إن المعركة تحتاج إلى دراسة أوسع.

وظف الباحث بشكل جيد الشواهد الأدبية المتعلقة بالمدينة معتمدا على الشعر كمادة لتاريخها . أيضا سلط المؤلف الضوء على آثار المدينة والفخاريات واللقى الأثرية وأعطى وصفاً دقيقاً لمظهرها الخارجي . ولهذا ندعو الباحثين إلى دراسة هذه اللقى وتحديد تواريخها وقيمتها العلميـة والسياسـية آنذاك.

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب المنهج الأكاديمي باستخدام المصادر التاريخية وقد كان موفقاً في ذلك.

وعلى الرغم كل ذلك فان كاظمة بقيت مجهولة قبل الإسلام وفي التاريخ القديم .ولـم يسـلط عليها الضوء رغم الشذرات البسيطة التي ذكرها الباحث ، وكما يبدو إن المادة العلمية وعـدم تـوفر المصادر تحكمت في ذلك .

لم يسهب الباحث في الأوضاع السياسية للمدنية في التاريخ القديم ولا في التاريخ الإسلامي إذ مرت عليها الكثير من الأحداث بعد فتح المسلمين لها في العصرين الأموي والعباسي .

اما من ناحية تجارة المدينة فأن لموقعها الاستراتيجي دوراً هام في قيام أهلها قبل الإسلام بممارسة التجارة لأنها تقع على رأس الخليج العربي وهذا منحها حرية التحكم بهذه المهنة ، وقد كتب الأستاذ الدكتور المرحوم منذر البكر بحثاً شاملاً وعميقاً في تجارة الخليج العربي في العصور القديمة ونشر في مجلة المربد العدد (٤) لسنة ١٩٧٠ التي تصدرها كلية الآداب في جامعة البصرة ، أيضا بُحثت تجارة الخليج العربي في العصور القديمة بشكل وافر كرسالة ماجستير في جامعة البصرة وبإمكان الباحثين الاستزادة حول ذلك والاطلاع على الأهمية الاقتصادية لمدينة كاظمة في العصور القديمة .

اما الجزء الآخر فهو الخرائط وصور الآثار فقد أحسن الباحث في طرحها كمادة علمية للباحثين التواقين للدراسة الأثرية للمدينة وعلاقتها بآثار وادي الرافدين وجنوب الخليج العربي واليمن .

في الختام ، تعد دراسة آثار المدن العربية من خلال لجان التنقيب في الجامعات العربية طموح المختصين في التاريخ القديم وذلك لتقارب حضارة المنطقة وتقوية نسيج أهلها من خلال دراسة تاريخها المشترك .